ما عليه مثله لم يعلم ليحذر حاله ويحترز عنه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما
وكان هو مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة
بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة و
المزكين في الشهود فان قيل فما معنى الفعل المشكل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها
الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله وهو باطل
والنبي عليه السلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي عليه السلام منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عليه السلام عن ذلك ما قد انكر قوم من هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها
اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى وان
اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي عليه السلام و
وعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك وجه ثان ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي عليه السلام لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال لها
اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره و
توبيخ النبي عليه السلام لهم وتقريعه على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه السلام مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما
تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحل
اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا

فاعلم

٤٩١

فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله فاذا كان ذلك فلا اعتراض
به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه بانه انا اخوك فلا
تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله تعالى ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عنه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الا
الانبياء ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم
فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء
عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا
الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته
يبتلي عباده كما قال تعالى لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم
الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضا والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء و
التضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين و
تذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى
عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم
ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)